

شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَلِاسُطِيَّةِ

تَصْنِيفُ الْإِمَامِ

أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ

ت ٧٢٨ رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً

أَمْلَأَهُ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

صَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدٍ الْعُصَيْمِيِّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَخِيهِ وَلِأُمَّمِائِمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



شَيْخُ

الْحَقِيقَةِ الْوَسْطِيَّةِ

شَرْحُ

الْعُقَيْدَةِ الْوَلَسُطِيَّةِ

تَصْنِيفُ الْإِمَامِ

أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ

ت ٧٢٨ رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً

أَمْلَأَهُ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدٍ الْعُصَيْمِيِّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَسَاتِيذِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَيَّرَ الدِّينَ مَرَاتِبَ وَدَرَجَاتٍ، وَجَعَلَ لِلْعِلْمِ بِهِ أُصُولًا وَمُهَيِّمَاتٍ،
وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَقًّا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا.
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ؛ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ
حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ؛ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ
إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.
أَمَّا بَعْدُ:

فَحَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّيُوخِ وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُمْ، بِإِسْنَادٍ كُلِّ إِلَى سُفْيَانَ بْنِ
عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي قَابُوسَ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ
الرَّحْمَنُ، أَرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ؛ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ».
وَمِنْ أَكْدِ الرَّحْمَةِ رَحْمَةُ الْمُعَلِّمِينَ بِالْمُتَعَلِّمِينَ، فِي تَلْقِينِهِمْ أَحْكَامَ الدِّينِ، وَتَرْقِيَتِهِمْ فِي
مَنَازِلِ الْيَقِينِ.

وَمِنْ طَرَائِقِ رَحْمَتِهِمْ: إِيقَافُهُمْ عَلَى مُهِمَّاتِ الْعِلْمِ؛ بِإِقْرَاءِ أُصُولِ الْمُتَوَنِّ، وَتَبْيِينِ مَقَاصِدِهَا
الْكُلِّيَّةِ، وَمَعَانِيهَا الْإِجْمَالِيَّةِ؛ لِيَسْتَفْتَحَ بِذَلِكَ الْمُبْتَدِئُونَ تَلْقِيَهُمْ، وَيَجِدُوا فِيهِ الْمُتَوَسِّطُونَ مَا
يَذْكُرُهُمْ، وَيَطَّلِعُ مِنْهُ الْمُنتَهُونَ إِلَى تَحْقِيقِ مَسَائِلِ الْعِلْمِ.

وَهَذَا شَرْحُ الْكِتَابِ السَّادِسِ مِنْ (بُرْنَامَجِ مُهِمَّاتِ الْعِلْمِ) فِي (سَنَتِهِ السَّادِسَةِ)، سِتِّ
وَثَلَاثِينَ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ وَالْأَلْفِ، وَهُوَ كِتَابُ «أَعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ»، الْمَعْرُوفُ
شُهْرَةً بِ«الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ»، لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ
النُّمَيْرِيِّ الْحَرَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةً.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا .
أَعْتَقَادَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

أَبْتَدَأَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ كِتَابَهُ بِالْبِسْمَةِ، ثُمَّ أَرْدَفَهَا بِحَمْدِ اللَّهِ، وَذَكَرَ الشَّهَادَتَيْنِ مَقْرُونَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى وَسَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَلَّى وَسَلَّمَ عَلَى آلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

ثُمَّ ذَكَرَ (أَعْتَقَادَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)؛ لِأَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ خَلْقِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ هِيَ عِبَادَةُ اللَّهِ، وَالْخَطَابُ الشَّرْعِيُّ الْمُحَقَّقُ أَمْتَالُهُ عِبَادَةُ اللَّهِ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: الْخَطَابُ الشَّرْعِيُّ الْخَبْرِيُّ.

وَالْآخَرُ: الْخَطَابُ الشَّرْعِيُّ الطَّلَبِيُّ.

وَمُتَعَلِّقُ الْأَوَّلِ: الاعتقادات الباطنة، وجماعُها: أركان الإيمان السَّتَّةَ الَّتِي سردها المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ.

وأشار إلى الخامس منها - وهو الإيمان باليوم الآخر - بقوله: **(وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ)**؛ لأنَّ البعثَ أعظمُ مسائله الَّتِي أنكرها المشركون، فاختار المصنِّف في الخبر عن الإيمان باليوم الآخر الإخبارَ بالبعثِ بعد الموت؛ لجلالة رتبته من الإيمان باليوم الآخر. والاعتقاد الصَّحيح هو الموافق للحقِّ الَّذِي جاء به الشَّرْع، وأهلُه هم المتَّبِعون للسُّنَّةِ المجتمعون عليها، فسُمُّوا **(أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)** تمييزاً لهم عَمَّنْ خالف السُّنَّةَ وفارق الجماعة، وأختصُّوا بأنَّهم **(الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ الْمَنْصُورَةُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ)**، وهَذِهِ الرِّسَالَةُ هي في بيان عقيدتهم.



قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ: الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ؛ بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

ذكر المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ (مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ)، (وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو مبنيٌّ على أصلين مجموعين فيما ذكرهما المصنّف:

فالأصل الأول: هو النَّفْيُ؛ وحقيقته: نفي ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ودليله في الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، ولهذا الأصل شرطان:

فالشرط الأول: السَّلامة من التَّحْرِيفِ؛ وهو: تغيير مبنى خطاب الشرع أو معناه.

والمراد بالمبنى: اللَّفْظ.

والشرط الثاني: السَّلامة من التَّعْطِيلِ؛ وهو: إنكار ما يجب لله من الأسماء والصفات.

والأصل الثاني: الإثبات؛ وحقيقته: إثبات ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ودليله في الآية: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١)، ولهذا الأصل شرطان:

فالشرط الأول: السَّلامة من التَّكْيِيفِ؛ وهو: تعيين كُنْهِ الصِّفَةِ الإِلَهِيَّةِ.

والمراد بالكُنْهِ: الحقيقة.

والشَّرْطُ الثَّانِي: السَّلَامَةُ مِنَ التَّمَثِيلِ؛ وهو: تعيين كُنْهِ الصِّفَةِ الإِلَهِيَّةِ بِذِكْرِ مِمَّا ثَلَّ لَهَا.
وَجُمِعَ بَيْنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ التَّكْيِيفِ وَالتَّمَثِيلِ؛ لِلْمُنَاسَبَةِ بَيْنَهُمَا، فَالتَّحْرِيفُ يُفْضِي إِلَى التَّعْطِيلِ، وَالتَّكْيِيفُ يُفْضِي إِلَى التَّمَثِيلِ.
وَعُمْدَةُ هَذَا الْبَابِ: النَّقْلُ الْمُحْضُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَالْخَبَرُ عَنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ لَا يَدَّ أَنْ يَكُونَ مَرْجوعًا فِيهِ إِلَى مَا وَصَفَ وَسَمَّى اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ وَصْفَهُ وَسَمَّاهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْيًا وَإِثْبَاتًا؛ لِأَنَّهُ خَبَرٌ عَنْ غَيْبٍ، وَالْغَيْبُ لَا يُطْلَعُ عَلَيْهِ إِلَّا بِالْوَحْيِ، وَالْوَحْيُ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ وَكَلَامُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
وَيُشَارُ فِي كُتُبِ الْعُقَائِدِ إِلَى الْأَصْلِ الْأَوَّلِ - وَهُوَ النَّفْيُ - بِقَوْلِهِمْ: (تَنْزِيَهُ اللَّهِ عَمَّا لَا يَلِيْقُ)، وَيُشَارُ إِلَى الْأَصْلِ الثَّانِي - وَهُوَ الْإِثْبَاتُ - بِقَوْلِهِمْ: (الْإِثْبَاتُ)، وَهَذَا الْأَصْلَانِ دُلَّ عَلَيْهِمَا فِي خُطَابِ الشَّرْعِ بِمَا يَبَيِّنُهُمَا.
فَالْأَصْلُ الْأَوَّلُ - وَهُوَ النَّفْيُ - دُلَّ عَلَيْهِ بِلَفْظَيْنِ:
أَحَدُهُمَا: التَّسْبِيْحُ.
وَالْآخَرُ: التَّقْدِيسُ.
وَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ ذِكْرًا فِيهِ.
وَالْأَصْلُ الثَّانِي - وَهُوَ الْإِثْبَاتُ - دُلَّ عَلَيْهِ بِالتَّحْمِيدِ.
وَغَلَبَ فِي كُتُبِ الْإِعْتِقَادِ ذِكْرُ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ دُونَ ذِكْرِ الْمَعْهُودِ الشَّرْعِيِّ؛ لِأَنَّهَا أَبْيَنُ فِي إِحْقَاقِ الْحَقِّ وَإِبْطَالِ الْبَاطِلِ عِنْدَ مُنَاقَظَةِ أَهْلِ الْبِدْعِ الْمُخَالِفِينَ فِي هَذَا الْبَابِ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يُلْحِدُونَ فِي
أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَآيَاتِهِ، وَلَا يُكَيِّفُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفُوَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ
بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلاً، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدِّقُونَ؛ بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَلِهَذَا قَالَ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) وَسَلَّمُ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الصَّافَاتِ]، فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمُ عَلَى
الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النِّقْصِ وَالْعَيْبِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيهَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالِإِثْبَاتِ.
فَلَا عُذُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ،
صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

تَقَدَّمَ أَنَّ بَابَ الصِّفَاتِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلَيْنِ سَبَقَ ذِكْرُهُمَا، وَنَشَأَ
مِنْ إِعْمَالِهِمَا خَمْسُ قَوَاعِدَ مِنْ قَوَاعِدِ هَذَا الْبَابِ.

فَالْقَاعِدَةُ الْأُولَى: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ لَا يَنْفُونَ عَنِ اللَّهِ (مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ).

وَالْقَاعِدَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنَّهُمْ (لَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ).

وَالْقَاعِدَةُ الثَّلَاثَةُ: أَنَّهُمْ (لَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ).

والإلحاد في أسماء الله وآياته هو: الميل بها عما يجب فيها؛ فكلُّ عدولٍ بها عما أمر به شرعاً هو إلحادٌ.

والقاعدة الرابعة: أَنَّهُمْ (لَا يُكَيِّفُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ).

والقاعدة الخامسة: أَنَّهُمْ (لَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ).

وموجبُ القولِ بهذه القواعد الخمس عند أهل السُّنَّةِ أمران:

أحدهما: أَنَّ اللهَ (لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفُوَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى).

والآخر: أَنَّ (رُسُلَهُ صَادِقُونَ مُصَدِّقُونَ).

وطريق الرُّسل الَّذي جاؤوا به هو إثبات الأسماء والصفات مع تنزيه الله عن النقائص والآفات.

و(لَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ) عن طريق الأنبياء والرُّسل؛ لأنَّه الصُّراط المستقيم. والقول عند أهل السُّنَّةِ في الأسماء والصفات كالقول في الذات الإلهية، فإنَّ إثبات الذاتِ إثباتٌ وجودٌ لا نعلم حقيقتها، فكذلك يكون إثباتُ صفاتِ الله إثباتٌ وجودٌ دون علمِ كَيْفِيَّتِهَا.

وهذا هو الَّذي أراده العلماء بقولهم: (القول في الصفات كالقول في الذات). ذكره الخطَّابيُّ، والخطيبُ البغداديُّ، وقوام السُّنَّةِ الأصبهانيُّ، في آخرين.

ومعناه ما تقدَّم؛ مِن أنَّنا نثبت صفات الله مع قطعِ عِلْمِنَا بكَيْفِيَّتِهَا؛ كإثباتنا ذات الله مع قطعِ عِلْمِنَا بكَيْفِيَّتِهَا.

وذكر المصنِّف في جملة كلامه هنا قاعدةً شريفةً في باب الأسماء والصفات فقال: (وَهُوَ

سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ)، ولها معنيان:

❁ أحدهما: أن يكون النَّفْيُ والإثبات واقعين في جميع الأسماء والصفات؛ ففي الأسماء

نفْيٍ وإِثْبَاتٍ، وفي الصِّفَاتِ نفْيٍ وإِثْبَاتٍ، وَهَذَا حَقٌّ.

فَأَسْمَاءُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِاعْتِبَارِ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ نَوْعَانِ:

أَوَّلُهُمَا: الْأَسْمَاءُ النَّافِيَّةُ؛ مِثْلُ: السَّلَامُ، وَالْقُدُّوسُ.

وَالثَّانِي: الْأَسْمَاءُ الْمُثَبِّتَةُ؛ مِثْلُ: اللَّهُ، وَالرَّحْمَنُ، وَالرَّحِيمُ.

وَيَكُونُ النَّفْيُ الْمَوْجُودُ فِي الْأَسْمَاءِ مُتَعَلِّقًا بِالْمَعْنَى دُونَ الْمَبْنَى؛ فَالْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ جَارِيَةٌ

عَلَى الْإِثْبَاتِ فِي مَبْنَاهَا، وَأَمَّا فِي الْمَعْنَى: فَيَكُونُ مِنْهَا مَا مَعْنَاهُ النَّفْيُ؛ كَالْأَسْمَاءِ الْمَذْكُورِينَ،

فَإِنَّهُمَا يَتَضَمَّنَانِ تَنْزِيهِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا لَا يَلِيْقُ.

وَكَذَلِكَ الصِّفَاتُ الْإِلَهِيَّةُ هِيَ بِاعْتِبَارِ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ نَوْعَانِ:

أَوَّلُهُمَا: الصِّفَاتُ الْمُنْفِيَّةُ؛ كَالنَّوْمِ، وَالظُّلْمِ.

وَالثَّانِي: الصِّفَاتُ الْمُثَبِّتَةُ؛ كَالْإِلَهِيَّةِ، وَالرَّحْمَةِ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ النَّفْيِ الْوَاقِعِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالوَاقِعِ فِي الصِّفَاتِ: أَنَّ نَفْيَ الْأَسْمَاءِ يَكُونُ فِي

الْمَعْنَى دُونَ الْمَبْنَى، وَأَمَّا نَفْيُ الصِّفَاتِ فَيَكُونُ فِي الْمَبْنَى وَالْمَعْنَى مَعًا.

❁ وَالْآخِرُ: أَنَّ يَكُونُ النَّفْيُ وَالْإِثْبَاتُ وَاقِعَيْنِ فِي مَجْمُوعِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، لَا فِي

جَمِيعِهَا؛ فَيَشْتَرِكَانِ فِي الْإِثْبَاتِ، وَتَخْتَصُّ الصِّفَاتُ بِالنَّفْيِ، وَهَذَا حَقٌّ أَيْضًا، وَهُوَ أَشْهَرُ فِي

كَلَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْأَوَّلِ.

فَيَجْعَلُونَ الْأَسْمَاءَ مُخْتَصَّةً بِالْإِثْبَاتِ، وَيَجْعَلُونَ الصِّفَاتَ حَائِزَةً دَائِرَةَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ

مَعًا.

وَالنَّفْيُ فِي هَذَا الْبَابِ لَيْسَ كَمَا لَا فِي نَفْسِهِ؛ فَلَا يُرَادُ لِدَاتِهِ، بَلْ يُرَادُ إِثْبَاتُ مُقَابِلِهِ مِنْ

الْكَمَالِ؛ فَنَفْيُ النَّوْمِ مِثْلًا يُرَادُ بِهِ إِثْبَاتُ الْقَيُومِيَّةِ، وَنَفْيُ الظُّلْمِ مِثْلًا يُرَادُ بِهِ إِثْبَاتُ الْعَدْلِ،

وَكُلُّ نَفْيٍ وَرَدَ فِي الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ فَالْمُرَادُ مِنْهُ إِثْبَاتُ الْكَمَالِ الْمُقَابِلِ لَهُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص].

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۚ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة]؛ أَي: لَا يُكْرِثُهُ وَلَا يُثْقَلُهُ.

وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝٢﴾ [التحريم].

﴿الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۝٣﴾ [التحريم].

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبا: ٢].

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ

إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام].

﴿وَمَا نَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا نَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ﴾ [فاطر: ١١].

وَقَوْلُهُ: ﴿لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢) [الطلاق].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٥٨) [الذاريات].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى].

﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٥٨) [النساء].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ

أَخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (٢٥٣)

[البقرة].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ

ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ

مَا يُرِيدُ﴾ (١) [المائدة].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَاحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥) [البقرة].

﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٩) [الحجرات].

﴿فَمَا اسْتَقَمُّوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٧) [التوبة].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢٢٢) [البقرة].

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُورٍ﴾ (٤) [الصف].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿٣١﴾ [آل عمران].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة].

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وَقَالَ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ

اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ

﴿٢٨﴾ [محمد].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ

الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ

آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا﴾ (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٢٢) [الفجر].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِلُ الْمَلَائِكَةِ نَزِيلًا﴾ (٢٥) [الفرقان].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢٧) [الرحمن].

وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيدِي﴾ [ص: ٧٥].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾

[المائدة: ٦٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوُجْهِ وَدُسِرَ﴾ (١٣) ﴿تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾ (١٤) [القمر].

﴿وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (٣٩) [طه].

وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾

[المجادلة: ١].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (٤٦) [طه].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (٨٠) [الزخرف].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (١٤) [العلق: ١٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (٢١٨) ﴿وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ (٢١٩) [الشعراء].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ (١٣) [الرعد].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ﴾ (٥٤) [آل عمران].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) [الطارق].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٠) [النمل].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ تُبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعَفُّوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾ (١٤٩) [النساء].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٢) [النور].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون: ٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَاعِزَّنَاكَ لِأَعْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) [ص].

وَقَوْلُهُ: ﴿نَبِّزَكَ أَسْمَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٧٨) [الرحمن].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (٦٥) [مريم].

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤) [الإخلاص].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢) [البقرة].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبْرُهُ

تَكْبِيرًا﴾ (١١١) [الإسراء].

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) [التغابن].

وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ، نَقْدِيرًا (٢) ﴿[الفرقان].

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١١) عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٢) ﴿[المؤمنون].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَضُرُّوهُ اللَّهُ الْأَمْثَالُ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧٤) ﴿[النحل].

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ (٣٣) ﴿[الأعراف].

وَقَوْلُهُ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥) ﴿[طه].

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَى﴾ (آل عمران: ٥٥).

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء: ١٥٨).

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠).

وَقَوْلُهُ: ﴿يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا (٣٧) ﴿[غافر].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) ﴿[الملك].

وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٤﴾ [الحديد].

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧﴾ [المجادلة].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنْ اللَّهَ مَعَنَا﴾ ﴿التوبة: ٤٠﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿٤٦﴾ [طه].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾ [النحل].

﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ [الأنفال].

وَقَوْلُهُ: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٢٤٩﴾ [البقرة].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ﴿٨٧﴾ [النساء].

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ﴿١٦٤﴾ [النساء].

وَقَوْلُهُ: ﴿مَنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَدَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ ﴿٥٢﴾ [مريم].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الشعراء: ١٠).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَادَيْنَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

﴿٢٢﴾ [الأعراف].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (القصص: ٦٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص: ٦٥).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٦).

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ (البقرة: ٧٥).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَّنْ تَتَّبِعُونَا﴾ (الفتح: ١٥).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ (الكهف: ٢٧).

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُضُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (النمل: ٧٦).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ (الأنعام: ٩٢).

وَقَوْلُهُ: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر: ٢١).

﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفَرِّجُ بَلِّ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَهُدَىٰ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ

الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣) [النحل].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٢٣) [القيامة].

﴿عَلَى الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ﴾ (٢٣) [المطففين].

وَقَوْلُهُ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [٣٥] [ق].

وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللَّهِ كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبَ الْهُدَى مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ.



قال الشَّارِحُ وفقه الله :

لَمَّا قَرَّرَ الْمَصْنُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَاعِدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؛ ذَكَرَ آيَاتٍ وَأَحَادِيثَ تَدْخُلُ فِي الْجُمْلَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَتَتَضَمَّنُ طَرَفًا حَسَنًا مِنْهَا. وَمَوْجِبُ اقْتِصَارِهِ عَلَى الْآيِ وَالْأَحَادِيثِ فِي هَذَا الْبَابِ هُوَ كَوْنُهُ مُرَدُّدًا إِلَى الْوَحْيِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ: (الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ تَوْقِيفِيَّةٌ)؛ أَي: مُوقُوفٌ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا عَلَى وُرُودِ الدَّلِيلِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا وَرَدَ فِي آثَارِ الصَّحَابَةِ هُوَ مِنْ جُمْلَةِ السُّنَّةِ؛ لِأَنَّهَا فِي هَذَا الْبَابِ لَا تُقَالُ مِنْ قِبَلِ الرَّأْيِ، فَلَهَا حُكْمُ الرَّفْعِ، وَمَا خَرَجَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَلَا يُثَبَّتُ بِهِ أَسْمٌ وَلَا صِفَةٌ لِرَبَّنَا عَزَّوَجَلَّ.

وَأَسْتَغْنَى الْمَصْنُفُ بِسِيَاقِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ إجمالاً عَنْ تَفْصِيلِ مَا فِيهَا مِنَ الْمَعَانِي؛ لِظُهُورِ دَلَالَتِهَا عَلَى مَا أَرَادَ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَعِدَّةُ الْأَدَلَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ: مِائَةٌ وَأَحَدٌ عَشَرَ.

وَعِدَّةُ الْأَدَلَّةِ الْحَدِيثِيَّةِ: سِتَّةٌ عَشَرَ.

وَعِدَّةُ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ: ثَمَانِيَّةٌ وَعَشْرُونَ أَسْمًا.

الْأَوَّلُ: اللَّهُ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وَقَالَ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا

إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ: ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ...﴾ [الطلاق: ١٢]، فِي آيٍ أُخَرَ ذَكَرَهَا.

والثاني: الأحد؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، ولم يأت مُعَرِّفًا في القرآن؛ بل صحَّ في الحديث.

والثالث: الصَّمَدُ؛ قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢]؛ وهو: السَّيِّدُ الكامل المقصود في الحوائج.

والرَّابع والخامس: الحيُّ، والقيُّوم؛ قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

والسَّادس والسَّابع: العليُّ، والعظيم؛ قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والثَّامن والتَّاسع والعاشر والحادي عشر: الأوَّل، والآخِر، والظَّاهر، والباطن؛ قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

وصحَّ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند مسلمٍ من حديث أبي هريرة تفسير (الأوَّل) بأنَّه: الَّذِي ليس قبله شيءٌ، وتفسير (الآخر) أنَّه: الَّذِي ليس بعده شيءٌ، وتفسير (الباطن) أنَّه: الَّذِي ليس دونه شيءٌ، وتفسير (الظَّاهر) أنَّه: الَّذِي ليس فوقه شيءٌ، وإذا صحَّ التفسير عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُحْتَج معه إلى غيره. ذكره الطَّبْرِيُّ وغيره.

والثَّاني عشر والثَّالث عشر والرَّابع عشر: العليم، والحكيم، والخبير؛ قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التَّحريم: ٢]، وقال: ﴿الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التَّحريم: ٣].

والخامس عشر: الرِّزَّاق.

والسَّادس عشر: ذو القوَّة؛ أي: صاحبُها.

وَالسَّابِعُ عَشَرَ: المتين؛ وهو: شديد القوَّة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ

الْمَتِينُ﴾ (٥٨) [الذاريات].

وذو القوَّة: أَسْمُ إِلَهِيٍّ إِضَافِيٍّ، وسيأتي بيان قاعدة الأسماء الإلهية المفردة والمضافة.

وَالثَّامَنَ عَشَرَ وَالتَّاسِعَ عَشَرَ: السَّمِيع، والبصير؛ قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ

الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٥٨) [النساء].

والعشرون والحادي والعشرون والثاني والعشرون: الغفور، والرَّحِيم، والرَّحْمَن؛ قال

الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٧) [يونس]، وقال: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١) [آل

عمران]، وقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (١) [الفاتحة].

وَالثَّلَاثَ وَالْعَشْرُونَ: الرَّبُّ؛ قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً

وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] في آياتٍ أُخَر.

ولم يأتِ هَذَا الاسم في القرآن مُعَرَّفًا بـ (أل)، لَكِن صَحَّ في الحديث.

وَالرَّابِعَ وَالْعَشْرُونَ وَالْخَامِسَ وَالْعَشْرُونَ: الْعَفُوُّ، والقدير؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (١٤٩) [النساء].

وَالسَّادِسَ وَالْعَشْرُونَ: أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ؛ قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٦٤)

[يوسف].

وَالسَّابِعَ وَالْعَشْرُونَ: خَيْرُ الْمَاكِرِينَ؛ قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (٣٠)

[الأنفال].

والثامن والعشرون: عالم الغيب والشَّهادة؛ قال الله تعالى: ﴿عَلِمِ الْغَيْبِ﴾

وَالشَّهَادَةِ ﴿التَّوْبَةُ: ٩٤﴾.

والأسماء الثلاثة الأخيرة من الأسماء الإلهية المضافة؛ فأسماء الله باعتبار الإفراد والإضافة نوعان:

أحدهما: الأسماء المفردة؛ مثل: أسم الله، والرحمن، والرحيم.

والثاني: الأسماء المضافة؛ مثل: أسم رب العالمين، ومالك الملك، وعالم الغيب والشَّهادة.

وممن أشار إلى الأسماء المضافة: ابن تيمية الحفيد، وشيخنا ابن باز، ونقل الأول إجماع المسلمين على دعاء الله بها.

وزاد ابن القيم في «بدائع الفوائد» و«شفاء العليل» نوعاً ثالثاً، وهو: الأسماء المزدوجة المتقابلة؛ مثل: أسم المعطي المانع، والقابض الباسط، والضار النافع.

فهذه الأسماء يجري كلُّ متقابلين منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فلا يكون أحدهما اسماً لله على الاستقلال؛ بل مع التركيب.

وليس في أدلة النقل ما يمكن الاستدلال به على هذا النوع سوى ما رواه أصحاب السنن إلا النسائي عن أنس رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ»، وإسناده صحيح، وبقية ما عدّه ابن القيم في هذا النوع لا يثبت فيه شيء، والله أعلم.

وهذه الأسماء الثمانية والعشرون تتضمن إحدى ثلاثين صفة هي: الألوهية، والأحدية، والصمدية، والحياة، والقيومية، والعُلُو، والعظمة، والأوليّة، والآخريّة، والظهور، والبُطون، والعلم، والحُكم، والحكمة، والخبر، والخبر، والخبرة،

والرِّزْق - بفتح الرَّاء وكسرهما -، والقُوَّة، والمتَّانَةُ، والسَّمْع، والبَصَرُ، والبُصْرُ، والبصيرة، والمغفرة، والرَّحمة، والرُّبُوبِيَّة، والعَفْوُ، والقُدْرَةُ، والتَّقْدِير، والمَكْر.
 ووجه أَسْتِفَادَة هَذِهِ الصِّفَات هو من الأَسْمَاءِ الإِلَهِيَّةِ الْمُتَقَدِّمَةِ؛ فَكُلُّ أَسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ يَتَضَمَّنُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ أَوْ أَكْثَرَ؛ فَمِنْ طَرَائِقِ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ كَوْنُهَا مُضَمَّنَةً الْأَسْمَاءِ، وَإِلَيْهِ أَشْرْتُ بِقَوْلِي:

أَسْمَاءُ رَبَّنَا عَلَى الصِّفَاتِ مِنْ الْأَدَلَّةِ لِذِي الْإِثْبَاتِ
 أي: عند أصحاب إثبات الصِّفَات.

فَكُلُّ أَسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ يَدُلُّ تَضَمُّنًا عَلَى صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ رَبَّنَا عَزَّوَجَلَّ، وَقَدْ يَتَضَمَّنُ الْأَسْمُ أَكْثَرَ مِنْ صِفَةٍ، لَكِنْ لَا بَدَّ أَنْ يَسَاعِدَ عَلَى ذَلِكَ الْوَضْعُ اللَّغَوِيُّ، وَلَا يَأْبَاهُ النَّقْلُ الشَّرْعِيُّ.

فاسم (الله) فيه صفةٌ واحدةٌ؛ هي: صفة الألوهية.

وأسم (الحكيم) فيه صفتان؛ هما: الحكم، والحكمة.

وأسم (البصير) فيه ثلاث صِفَاتٍ؛ هي: البَصَرُ، والبُصْرُ، والبصيرة.

فمَتَى سَاعَدَ الْوَضْعُ اللَّغَوِيُّ عَلَى الدَّلَالَةِ عَلَى مَا تَضَمَّنَهُ أَسْمٌ مِنْ صِفَاتِ رَبَّنَا وَلَمْ يَأْبَاهِ النَّقْلُ الشَّرْعِيُّ أُثْبِتَتْ تِلْكَ الصِّفَاتُ.

وَذَكَرَ الْمُصَنِّفُ أَدَلَّةً مُسْتَقَلَّةً لَجُمْلَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا؛ كَصِفَةِ الْأُلُوْهِيَّةِ، وَالْعِلْمِ، وَالسَّمْعِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالْحُكْمِ، وَالْحِكْمَةِ، وَالتَّقْدِيرِ، وَالْمَكْرِ، وَالْعُلُوِّ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ لِهَازِهِ الصِّفَاتِ أَدَلَّةً مُسْتَقَلَّةً غَيْرَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ كَوْنِهَا مُسْتَفَادَةً مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَذَكَرَ صِفَاتِ إِلَهِيَّةٍ أُخْرَى عَلَى وَجْهِ التَّصْرِيحِ بِهَا، لَا تَرْجِعُ إِلَى الْأَسْمَاءِ الْمُتَقَدِّمَةِ؛ وَهِيَ

سَبْعٌ وَأَرْبَعُونَ صِفَةً:

الأولى: صفة الملْك؛ قال الله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

[يونس: ٦٨] الآية، وقال: ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ [التغابن: ١].

والثانية والثالثة: المشيئة، والإرادة؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا

شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، في آي آخر

ذكرها.

والفرق بينهما: أنَّ الإرادة تتعلق بأمر الله الكونيِّ والشرعيِّ، وتختصُّ المشيئة بتعلقها بأمر الله الكونيِّ فقط.

والرابعة والخامسة: الحفظ، والقدرة؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾

[البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ

حَفِظًا﴾ [يوسف: ٦٤].

ومعنى ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾: ﴿لَا يُكْرِثُهُ وَلَا يُثْقِلُهُ﴾؛ أي: لا يهمله؛ ثبت هذا في الآثار

عن ابن عباسٍ ومجاهدٍ، فلا يُعْجِزُهُ سبحانه حِفْظُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يَكْلِفُهُ ذَلِكَ شَيْئًا.

والسادسة: المحبة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]، في آي آخر ذكرها المصنّف.

والسابعة: الكتابة؛ قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

والثامنة: الرضا؛ قال الله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

والتاسعة والعاشرة: الغضب، واللعن؛ قال الله تعالى: ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ

وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣].

والحادية عشرة والثانية عشرة: السَّخَط، والرَّضْوَان؛ قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

اتَّبَعُوا مَا اسَّخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [محمد: ٢٨].

والسَّخَط، والسُّخْط: بفتح السين وضمها لغتان صحيحتان؛ وهو: شدة الغضب.

والرَّضْوَان، والرُّضْوَان: بكسر الراء وضمها لغتان صحيحتان أيضاً.

فيجوز ذكر الصِّفة بكل واحدٍ منهما.

والثالثة عشرة والرابعة عشرة: الأَسَف، والانتقام؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسَفُونَا

أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]، والأسف هو: شدة الغضب.

والفرق بين السَّخَط والأسف: أن السَّخَط شدة غضبٍ مقرونةً بكراهيةً أشد.

والخامسة عشرة والسادسة عشرة: الكراهة، والتَّشْبِيط؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ

كَرِهَ اللَّهُ أَنْبِعَائَهُمْ فَتَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

والكراهة والكراهية لغتان في هذه الصِّفة.

والتَّشْبِيط: الحبس والمنع.

والسابعة عشرة: المقت؛ قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الصف: ٣] الآية.

والمقت هو: أشدُّ البغض.

والثامنة عشرة: الإتيان؛ قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة]

الآية، وقال: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

والتاسعة عشرة: المجيء؛ قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢].

والفرق بين الإتيان والمجيء: أَنَّ الإتيان أقوى، فالمجيء مجرد ورود، أمَّا الإتيان فوُروُدٌ بقوة وإقبال، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَنَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، فالمناسب للعذاب شِدَّةُ الأخذ، ودُلَّ عليه بالفعل (أتى).

وقال الله في أبنه شعيب: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ﴾ [القصص: ٢٥]، ففي مشيها تباطؤ وتثاقل يناسبه الفعل (جاء).

[إشكال]: أحد إخواننا في الرياض أورد عليَّ إشكالاً^(١)، أورد قول الله سُبحَانَهُ وتعالى: ﴿أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف: ١٢٩]، هل هذا يدلُّ على الاستواء أم لا يدلُّ؟

وجواب ذلك: أَنَّ هذه الآية تُصدِّق المعنى الذي ذكرناه، فكان إتيانه إليهم بالنبوة وهي أعظم، فأتى إليهم بأمرٍ قويٍّ هو النبوة، ثم لما خالطهم صار بينهم نبياً، فدُلَّ على ابتدائه النبوة فيهم بأمرٍ عظيمٍ استعظموه - وهو مجيء رسولٍ إليهم - فذكر بالإتيان أولاً، ثم لما استقر بين أظهرهم عبَّروا عنه بالمجيء، والله أعلم.

وذكر المصنِّف في آيات الإتيان قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَنُزِّلُ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا

﴿٢٥﴾ [الفرقان: ٢٥]؛ لأنَّ المذكور فيها يقع مقدِّمةً لإتيان الله، فلمَّا بينهما من التلازم ذُكرت في هذا الباب، فهي ليست صريحةً في صفة الإتيان، لكنَّها ملازمةٌ لها، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا قضى أن يأتي تشقَّق السماء حينئذٍ بالغمام، ونُزِّلُ الملائكة تنزيلاً.

ويمكن أن تكون هذه الآية من آيات الصفات على قراءة ابن كثير: (وَنُزِّلُ الْمَلَائِكَةَ)، إلَّا أنَّ المصنِّف رحمه الله كان يقرأ بحرف أبي عمرو بن العلاء.

(١) والذي يورد عليَّ إشكال هذا من أحبِّ النَّاسِ لي؛ لأنَّه يعينني على أن نفهم الشرع أكثر، والإنسان لا يضيق صدره بالإشكال؛ بل ينظر في فهمه هل هو صحيح أم غير صحيح؟.

والعشرون: صفة الوجه؛ قال الله تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢٧).

[الرَّحْمَنُ: ٢٧]، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

والجلال هو: غاية العظمة.

والحادية والعشرون: صفة الإنفاق؛ قال الله تعالى: ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

والثانية والعشرون: صفة اليدين؛ قال الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِدَيِّ﴾

[ص: ٧٥]، وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وأقتصر المصنّف رحمه الله على ما ورد فيه ذكر اليد مثناة دون الأفراد والجمع مع ورودها كذلك في القرآن، فإنَّ اليد جاء ذكرها مفردة ومثناة ومجموعة، وأقتصر المصنّف على التثنية لأنَّ المثني إذا أُطلق لم تُرد به إلا حقيقته؛ بخلاف المفرد والجمع، فربما أُريد بالمفرد: الجنس، وأُريد بالجمع: التعظيم.

والصفة الثالثة والعشرون: صفة العينين؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ

بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقال: ﴿تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وقال: ﴿وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنَيَّ

﴿٣٩﴾ [طه: ٣٩]، فهذه الآيات في إثبات صفة العينين لله.

وذكرت صفة العينين في خطاب الشرع على ثلاثة أنحاء:

أولها: ذكرها بالجمع؛ وهو الواقع في الآيتين الأوليين عند المصنّف.

والثاني: ذكرها بالأفراد؛ وهو الواقع في الآية الأخيرة عند المصنّف.

والثالث: ذكرها بالتثنية؛ ولم تُرد في القرآن الكريم، ولا جاءت صريحة في الأحاديث

الصّحيحة، لكن ثبت في «الصّحيحين» عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في صفة

الدجال: «إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»، والعور في كلام العرب: صفة ذي عينين

إحدهما معيبة والأخرى سليمة؛ فالعور لا يُطلق إلا باجتماع أمرين:

أحدهما: أن يكون الموصوف به ذا عينين؛ فلا يُطلق على ذي عينٍ، ولا ذي أعينٍ.
والآخر: أن تكون إحدى عينيه معيبةً، والآخرى سليمةً.
ونَفِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العَوْرَ عن رَبِّهِ يفيد إثبات كمال عينيه سبحانه؛ إذ لو لم تكن له
عينان على التَّشْنِية لما أطلق عليه نفْي العَوْر.
وإثبات العينين هو المعروف في كلام أئمة أهل السُّنَّة.
والحديث المذكور عُدَّ دليلاً على الوجه الذي تعرفه العرب من كلامها فيه؛ فلا يدخل
في قول المصنّف: (وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ)؛ إذ ليس فيه قياسٌ للخالق على المخلوق، ومَنْ
أَدْعَاهُ فَقَدْ غَلِطَ؛ إذ هو مَنْ فَهَمَ الكلام العربيّ وفق وضعه، ولم يزل أهل السُّنَّة يستدلُّون
بهذا الحديث في إثباته صفة العينين، ومَنْ ذكره دليلاً من أكابرهم: أحمدُ ابن حنبلٍ،
وعثمان بن سعيد الدارميُّ.

والصِّفَةُ الرَّابِعَةُ والعشرون: صفة الحمل؛ قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجْهِ وَدُسُرٍ

﴿١٣﴾ [القمر].

والخامسة والعشرون: صفة الرؤية؛ قال الله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى

﴿٤٦﴾ [طه]، وقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ ﴿١٤﴾ [العلق]، في أي آخر ذكرها المصنّف.

والسَّادِسَةُ والعشرون: صفة المحال؛ قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾

[الرعد: ١٣]، والمحال هو: الغلبة بمكرٍ وكيدٍ.

والسَّابِعَةُ والعشرون: صفة الكيد؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾

[الطارق].

وهاتان الصِّفَتانِ الأخيرتان (المحال والكيد) مع صفة (المكر) المتقدِّمة يظهر كمالها في
مقابلة أهل المكر والمحال والكيد المستحقِّين للمجازاة بجنس صنيعهم، ومن ثمَّ وقعت

مُقيَّدةً بمقابلها، فلم يصف الله نفسه بالمرء والمحال والكيد على وجه الإطلاق؛ بل على وجه الجزاء لمن فعل ذلك، فيكون إثباتها على وجه التقييد ليظهر كمها.

وقاعدة المسألة أن الصفات الإلهية باعتبار الإطلاق والتقييد تنقسم إلى نوعين: أحدهما: صفات مطلقة؛ وهي المتمحضة في الدلالة على الكمال؛ كالعلم، والحياة، والقدرة.

والآخر: صفات مُقيَّدة؛ وهي التي تكون كملاً من وجه، ونقصاً من وجه؛ ويبيّن كمها بمجازاة أهلها بها؛ كالمرء، والمحال، والكيد.

والثامنة والعشرون: صفة العِزَّة؛ قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال: ﴿فَاعِزَّنَا﴾ [ص: ٨٢].

والتاسعة والعشرون والثلاثون: صفة الجلال والإكرام؛ قال الله تعالى: ﴿نُبْرِكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَن: ٧٨].

والجلال هو: غاية العظمة - كما سبق.

والحادية والثلاثون: صفة الحمد؛ قال الله تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ﴾ [القصص: ٧٠]، وقال: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: ١١١] في أي آخر.

والثانية والثلاثون: صفة الخلق؛ قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الفرقان: ٢]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الحديد: ٤].

والثالثة والثلاثون والرابعة والثلاثون: التَّبارُّك والإِنْزال؛ قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]، وقال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]، وقال: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ [الحشر: ٢١].

والخامسة والثلاثون: صفة التَّحْرِيم؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ٣٣] الآية.

والسادسة والثلاثون: صفة الاستواء؛ قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه]، وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤].

والسابعة والثلاثون: صفة الرَّفْع؛ قال الله تعالى: ﴿وَرَأْفَعَكَ إِلَى﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

والثامنة والثلاثون: صفة المعية؛ قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] في آي آخر ذكرها المصنّف.

والتاسعة والثلاثون: صفة الإنباء؛ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ [المجادلة: ٧].
والأربعون: صفة الصّدق؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

والحادية والأربعون: صفة الحديث؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

والثانية والأربعون: القيل والقول؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْصَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وهما لغتان في كلمة واحدة.

والثالثة والأربعون: صفة الكلام؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

والرابعة والأربعون: صفة النداء؛ قال تعالى: ﴿وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾

[مريم: ٥٢]، وقال: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢] في آيٍ أُخَر.

والخامسة والأربعون والسادسة والأربعون: التقريب والمناجاة؛ قال الله تعالى:

﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [٥٢] [مريم].

والسابعة والأربعون: صفة التجلي؛ قال الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ [٢٢] إِلَى رَبِّهَا

نَاطِرَةٌ [٢٣] [القيامة]، وقال تعالى: ﴿عَلَى الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ﴾ [٢٣] [المطففين]، وقال: ﴿لِلَّذِينَ

أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقال: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [٣٥] [ق].

وَجَعَلْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ اللَّوَاتِي ذَكَرْهُنَّ الْمَصْنُفُ هُنَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ غَلْطٌ

من وجهين:

أحدهما: أَنَّ الكلام في سياق صفات الخالق، ورؤية المؤمنين رَبَّهُمْ في الآخرة صفةٌ

للمخلوق.

والآخر: أَنَّ المصنَّف سيذكر هَذَا الأصل العظيم فيما يُستقبل؛ فالمراد هنا: إثبات صفةٍ

هي صفة التجلي؛ إذ فيها ذِكر رؤية المؤمنين رَبَّهُمْ مُصَرَّحًا به الآيتين الأوليين، وهي

(الزيادة) و(المزيد) المذكوران في الآيتين الأخيرتين.

وتقع الرؤية بتجليه سبحانه، ووقع التصريح بالصفة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ

[١٤٣] [الأعراف: ١٤٣]، وفي حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال: «فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ».

وهذه الصفات التي تقدَّم ذكرها كُلُّهَا تُسَمَّى صفاتٍ مُثَبَّتَةٍ.

ومن قواعد الباب المتعلقة بهذا المحلِّ: أَنَّ تعلم أَنَّ الصفات الإلهية باعتبار النفي

والإثبات تنقسم إلى قسمين:

أحدهما: صفاتٌ مثبتةٌ؛ وهي التي أُثبتت لله عزَّ وجلَّ، وتُسمَّى الصفات الثبوتية.
والآخر: صفاتٌ منفيةٌ؛ وهي التي نُفيت عن الله عزَّ وجلَّ، وتُسمَّى الصفات السلبية.
ومن الصفات المنفية الواردة في الآيات التي ذكرها المصنّف: أحد عشر صفة.
الأولى والثانية: النوم والسنة - وهي النعاس -؛ قال الله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والثالثة: الموت؛ قال الله تعالى في نفيه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

والرابعة: الولد؛ قال الله تعالى: ﴿لَمْ يَكِدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، وقال: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

والخامسة: الولادة؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٢].
والسادسة: الكُفُّ؛ وهو: المائل؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

والسابعة: السَّمِيُّ؛ قال الله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]؛ وهو أَسْتَفْهَامٌ أَسْتَنْكَارِيٌّ يفيد نفي المذكور.

والثامنة: النَّدُّ؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].
والتاسعة والعاشرة: الشَّريك والوليُّ؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ﴾ [الإسراء: ١١١].

والوليُّ المنفيُّ عن الله هو: المعين الذي يتصرّف معه بما ينفعه، كما كان يعتقد المشركون.

والحادية عشرة: المِثْلُ؛ قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].
 وذكر المصنّف رَحْمَهُ اللهُ فِي جملة آيات الصّفات المسرودة آنفاً عشر آياتٍ؛ أولها قوله
 تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥]، وآخرها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ
 الْفَوَاحِشَ...﴾ [الأعراف: ٣٣]، وهي جميعاً في تقرير مسألة الصّفات المنفية.
 والمراد من النّفي كما تقدّم: إثبات الكمال المقابل؛ لأنّ النّفي في نفسه ليس كمالاً، ولكنّ
 الكمال في إثبات مقابله.

وذكر فيها المصنّف قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [التغابن: ١]
 وهو أصلٌ في تنزيه الله عن كلّ ما لا يليق.

وختم تقرير الصّفات المنفية بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ
 وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [٣٣]
 [الأعراف]؛ للرّدّ على طائفتين قالتا في الله بغير علم:

أولاهما: المُشَبَّهَةُ الَّذِينَ وَقَعُوا فِي الشُّرْكِ إِذْ شَبَّهُوا الرَّبَّ بِخَلْقِهِ.

والثّانية: المُعْطَلَةُ الَّذِينَ نَفَوْا عَنِ اللَّهِ صِفَاتِ كَمَالِهِ.

ولمّا فرغ المصنّف رَحْمَهُ اللهُ مِنْ سياق الآيات المختارة بيّن أنّ (هَذَا الْبَابَ فِي كِتَابِ اللَّهِ)
 عَزَّوَجَلَّ كثيرٌ، فأيات الأسماء والصّفات فيه متوافرة، و(مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبَ الْهُدَى مِنْهُ
 تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ)، فَمَنْ نظر إلى مقاصد الآيِ المسوقةِ في هَذَا الْبَابِ ظهر له أنّ القرآن
 يجمع بين النّفي والإثبات، ووقف على مسلكه في الأسماء والصّفات بيّناً، ليس دونه
 حجابٌ لِمَنْ كَانَ له قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وهو شهيدٌ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثُمَّ سُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ، وَتَبَيَّنَهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ.
وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاها أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛
وَجَبَّ الْإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ؛ مِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ
يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ؛ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟، مَنْ
يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ؛ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ...». الْحَدِيثُ.
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ؛ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غَيْرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزْلَيْنِ
قَنِطَيْنِ، فَيَظَلُّ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ يَضْحَكُ: يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ». حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟!، حَتَّى يَضَعَ
رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ - وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمُهُ - فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطِ
قَطِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا آدَمُ؛ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي
بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلَا تُرْجُمَانٌ».

وَقَوْلِهِ - فِي رُقِيَةِ الْمَرِيضِ -: «رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ أَسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ، كَمَا رَحِمْتَكَ فِي السَّمَاءِ؛ أَجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، أَغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ

رَبِّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزَلَ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجْعِ؛ فَيَبْرَأُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَقَوْلِهِ: «أَلَا تَأْمَنُونِي!، وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.
وَقَوْلِهِ: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمَا.

وَقَوْلِهِ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللَّهُ؟»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟»، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.
وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ». حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَقَوْلِهِ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ، فَلَا يَبْصُقَنَّ قَبْلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ أَقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَوْلِهِ لَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ؛ ارْجِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِي رَاحِلَتِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ، بَلْ هُمْ الْوَسْطُ فِي فِرْقِ الْأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسْطُ فِي الْأُمَمِ.



قال الشَّارِحُ وفقه الله :

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ سِتَّةَ عَشَرَ حَدِيثًا مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، أوردَها بعد آياتها؛ لِأَنَّ السُّنَّةَ وَحْيٌ كَالْقُرْآنِ.

وَالْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ مَرْدُّهَا نَفْيًا وَإِثْبَاتًا إِلَى الْوَحْيِ وَهُوَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، وَبَيَّنَ الْمَصْنِفُ الصَّلَةَ بَيْنَهُمَا بِقَوْلِهِ: (ثُمَّ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ) ^(١)، فَعَلَّاقٌ أَتَّصَلَهُمَا أَرْبَعٌ:

أَوَّلُهَا: تَفْسِيرُ السُّنَّةِ لِلْقُرْآنِ.

وَالثَّانِيَةُ: تَبْيِينُ السُّنَّةِ لِلْقُرْآنِ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الْمَرْتَبَةَ الْأُولَى تَتَعَلَّقُ بِالْإِيضَاحِ التَّفْصِيلِيِّ، وَالْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ تَتَعَلَّقُ بِالْإِيضَاحِ الْكُلِّيِّ.

(١) هنا تمام المجلس الأول.

والمرتبة الثالثة: دلالة السُّنَّة على القرآن.

والمرتبة الرابعة: تعبير السُّنَّة عن القرآن.

والفرق بينهما: أنَّ المرتبة الثالثة تتضمن مجيء السُّنَّة بنظير ما في القرآن مما يُشاركه في

الباب، والمرتبة الرابعة تتضمن مجيء السُّنَّة بمثل ما جاء به القرآن.

وجميع الأحاديث التي ذكرها المصنّف رَحِمَهُ اللهُ سِتَّةً، هي في «الصَّحَّاحِينَ» اتِّفَاقًا أَوْ

أَنفَرَادًا؛ سِوَى أَرْبَعَةِ أَحَادِيثٍ لَمْ يَرْوَاهَا الْبُخَارِيُّ وَلَا مُسْلِمٌ:

أَحَدُهَا: قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(«عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ...»)** الحديث. رواه أبْنُ

مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي رَزِينٍ الْعَقِيلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَفِيهِ ضَعْفٌ، وَالْمَشْهُورُ فِي لَفْظِهِ: **«ضَحِكَ**

رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ»، وَلَمْ أَجِدْهُ بِلَفْظٍ: (عَجِبَ)، وَأَشَارَ إِلَى فَقْدِهِ بِهَذَا اللَّفْظِ

الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

وَالْغَيْرُ: التَّغْيِيرُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ: **(«أَزْلَيْنَ»)**؛ أَي: فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ، وَيَجُوزُ فِيهِ مَدُّ أَوَّلِهِ: (أَزْلَيْنَ).

وَالثَّانِي: قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **(- فِي رُقِيَةِ الْمَرِيضِ -: «رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ...»)**

الْحَدِيثَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.

وَالثَّلَاثُ: قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(«وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا**

أَنْتُمْ عَلَيْهِ»). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي عَزْوِ الْمَصْنُفِ، وَهُوَ يَرِيدُ حَدِيثَ الْعَبَّاسِ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْمَعْرُوفَ بِ(حَدِيثِ الْأَوْعَالِ)، صَرَّحَ بِهِ فِي «مَنَاظَرَةِ الْوَاسِطِيَّةِ» وَفِي «الْحُمُويَّةِ»،

وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي خَتَمَ بِهِ إِمَامُ الدَّعْوَةِ «كِتَابَ التَّوْحِيدِ»، وَلَيْسَ هُوَ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ

وَالْتِّرْمِذِيِّ بِهَذَا اللَّفْظِ؛ بَلْ بِلَفْظٍ آخَرَ.

واللفظ الذي ذكره المصنّف رواه ابن خزيمة والطبراني في «المعجم الكبير» من حديث ابن مسعودٍ موقوفاً من كلامه، وإسناده حسنٌ، وله حكم الرفع لأنّه خبرٌ عن غيبٍ لا يُطلّع عليه إلّا بالوحي.

والرابع: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(«أَفْضَلُ الْإِيمَانِ...»)** الحديث. رواه الطبراني في «المعجم الكبير» و«الأوسط» من حديث عبادة بن الصّامت، وإسناده ضعيفٌ. والأحاديث الصّحيحة تُغني عن الضّعاف، وأوردها المصنّف لأنّها ثابتةٌ عنده لقوله قبل سوقها: **(وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ مِنْ الْأَحَادِيثِ الصّحاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ)**، ثمّ ذكرها.

و(الصّحيح) يندرج فيه (الحسن) عند جماعةٍ من الحفّاظ، فلا يُشكل على هذا تحسينه بعضُ الأحاديث، فالصّحّة عنده تشمل الصّحيح والحسن. وعزّوه إلى أهل المعرفة تلقّي هذه الأحاديث بالقبول مع ضعف بعضها اتّفاقاً محمولٌ على أمرين:

أحدهما: إرادة مجموعها لا جميعها؛ فهي في الجملة مقبولةٌ دون تفاصيلها، فتكون حكايةً عن المجموع لا عن الجميع.

والآخر: إرادة قبولها في سرّدها في أخبار الصّفات؛ لأنّ ما ضُعّف منها يجري مجرى التّابع للصّحيح الذي يُذكر اعتضاداً لا اعتماداً، وهو صنيع جماعةٍ من أئمّة أهل السّنة المصنّفين في هذا الباب كأبي بكر بن خزيمة صاحب كتاب «التّوحيد»، وأبن منده صاحب كتاب «التّوحيد» و«الإيمان».

بقي التنبيه إلى أن لفظة (**«حَاجِبٌ»**) في حديث عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**«مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ...»**) ثابتة في النسخة المقروءة على المصنّف من «الواسطية»، وهي موافقة رواية الكُشَمِيهَنِي لـ «صحيح البخاري»، فهي عند البخاري في رواية الكُشَمِيهَنِي. وأسم الإشارة (**ذَلِكَ**) في قوله: (**وَجَبَ الْإِيْمَانُ بِهَا كَذَلِكَ**) عائد على قوله أولاً: (**مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ**)، وأعاد التّصريح به في الجملة الأخيرة من كلامه.

وعِدَّة الأسماء الإلهية الواردة في الأحاديث المذكورة سبعة عشر اسماً:
الأول: الرَّبُّ؛ لقول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**«يَنْزِلُ رَبُّنَا»**)، وقوله: (**«عَجِبَ رَبُّنَا»**) في أحاديث آخر.

وتقدّم أنّه صحّ هذا الاسم مُعرِّفاً بـ (أل) في السُّنة الصَّحيحة.
والثاني: الله؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**«لَهُ أَشَدُّ فَرَحًا»**)، وقوله: (**«يَضْحَكُ اللَّهُ»**) في أحاديث أخرى ذكرها المصنّف.

والثالث: رَبُّ الْعِزَّة؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**«حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّة»**)؛ أي: صاحب العِزَّة، وهي صفة الله.

والرابع: رَبُّ الطَّيِّين؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**«أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّين»**)، ولا يُحفظ هذا الاسم في دليل ثابت.

والخامس: رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْع.

والسادس: رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم.

والسابع: رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ.

والثامن: فائق الحبّ والنوى.

والتاسع: مُنْزِلُ التَّوْرَةِ.

والعاشر: مُنْزِلُ الْإِنْجِيلِ.

والحادي عشر: مُنْزِلُ الْفِرْقَانِ.

وَكُلُّ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ: **(«اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ...»)** إِلَى آخِرِهِ.

وهي جميعاً من الأسماء الإلهية المضافة.

والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر: الْأَوَّلُ، وَالْآخِرُ، وَالظَّاهِرُ،

وَالْبَاطِنُ؛ وَكُلُّهَا فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ: **(«أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»)**.

والسادس عشر والسابع عشر: السَّمِيعُ، وَالْقَرِيبُ؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(«إِنَّمَا تَدْعُونِ**

سَمِيعًا قَرِيبًا»).

وهذه الأسماء الإلهية السبعة عشر تتضمن أحد عشر صفة إلهية؛ هي: الألوهية،

وَالرُّبُوبِيَّةُ، وَالْعِزَّةُ، وَالْفَلَقُ - وَهُوَ الشَّقْ -، وَالْإِنْزَالُ، وَالْأَوَّلِيَّةُ، وَالْآخِرِيَّةُ، وَالظُّهُورُ، وَالْبُطُونُ، وَالسَّمْعُ، وَالْقُرْبُ.

ووجه استفادتها هو من الأسماء الإلهية المتقدمة وفق قاعدة أستخراج الصفات من

الأسماء الحسنى، وقد تقدّمت.

ومن الصفات الإلهية الواردة في الأحاديث التي ساقها المصنّف زيادة على ما تقدّم ممّا

أورد فيه دليلاً خاصاً خمسة عشر صفة:

الأولى: النُّزُولُ؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(«يَنْزِلُ رَبُّنَا»)**.

والثانية: الْفَرَحُ؛ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(«لَكُلُّهُ أَشَدُّ فَرَحًا»)**.

والثالثة: الضحك؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(«يُضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ»)**.

والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة: العجب، والنظر، والضحك، والعلم؛ وكلُّها

في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(«عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غَيْرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزَلَيْنَ قَنِطَيْنِ، فَيَظُلُّ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ يَضْحَكُ: يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ»)**.

وتقدّم بيان ضعفه، وما فيه من الصفات ثابتٌ بأدلةٍ تقدّمت سوى (العجب)، ويدلُّ عليها قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢]، على قراءة الضمِّ وصفًا له سبحانه، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف العاشر، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(«قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا اللَّيْلَةَ»)**. متفقٌ عليه. ففيها إثبات صفة العجب لله عزَّ وجلَّ.

والثامنة: القدم؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(«حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ»)**، وفي رواية: **(«عَلَيْهَا قَدَمَهُ»)**.

والتاسعة والعاشرة والحادية عشرة: القول، والنداء، والصوت؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(«يَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا آدَمُ؛ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَنَادِي بِصَوْتٍ...»)** الحديث.

والثانية عشرة: الكلام؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(«مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ»)**.
والثالثة عشرة: العلو؛ في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (- فِي رُفْيَةِ الْمَرِيضِ - : **(«رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ»)**، وقوله: **(«وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ»)**، إلى غير ذلك من الأحاديث التي ذكرها المصنّف.

والرابعة عشرة: المعية؛ في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(«أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ»)**، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(«إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ...»)** الحديث.

الخامسة عشرة: صفة التجلي؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(«إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»)**.

ورؤية الخلق لله تكون بتجليه لهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهذه كلها صفاتٌ مثبتةٌ مما ذكر في الأحاديث.

أما الصفات المنفية المذكورة في تلك الأحاديث فهي صفتان؛ هما: نفي الصمم، ونفي

الغياب؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(«فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا»)**.

ولما فرغ المصنّف من ذكر تلك الأحاديث الجامعة لجملة من الأسماء والصفات

الإلهية ذكر أنّ غيرها مثلها فيجري القول فيه وفق ما جرى فيها من الإيذان بتلك الأسماء

والصفات **(مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ)**.

وتلك الطريقة التي جرى عليها أهل السنة والجماعة أنزلتهم في باب الأسماء والصفات

منزل الوسط بين **(فِرَاقِ الْأُمَّةِ)**، فهم فيها وسطٌ بين تلك الفرق **(كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسْطُ**

فِي الْأُمَمِ).



قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبَّهَةِ.

وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللَّهِ تَعَالَى: بَيْنَ الْقَدَرِيَّةِ وَالْجَبَرِيَّةِ.

وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللَّهِ: بَيْنَ الْمُرْجئةِ وَبَيْنَ الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ.

وَفِي بَابِ الْإِيمَانِ وَالِدِّينِ: بَيْنَ الْحُرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِّلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجئةِ وَالْجَهْمِيَّةِ.

وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الرِّوَافِضِ وَبَيْنَ الْخَوَارجِ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

لَمَّا قَرَّرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَسَطٌ بَيْنَ فِرْقِ الْأُمَّةِ؛ شَرَعَ يَبَيِّنُ تَحْقِيقَ

وَسَطِيَّتِهِمْ بِذِكْرِ خَمْسَةِ أَصُولٍ جَامِعَةٍ:

أَوَّلُهَا: أَسْمَاءُ اللَّهِ وَصِفَاتُهُ؛ فَهَمُ فِيهَا وَسَطٌ بَيْنَ (أَهْلِ التَّعْطِيلِ) الْمُنْكَرِينَ لَهَا، وَ(أَهْلِ

التَّمْثِيلِ) الْمُبَالِغِينَ فِي إِثْبَاتِهَا بِذِكْرِ مِمَّا ثَلَمَهَا.

وِثَانِيهَا: الْقَدَرُ، الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِ الْمُصَنِّفِ: (بَابُ أَفْعَالِ اللَّهِ)؛ فَهَمُ وَسَطٌ فِيهِ (بَيْنَ

الْقَدَرِيَّةِ) الزَّاعِمِينَ أَنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ فِعْلَهُ أَسْتِقْلَالًا، (وَالْجَبَرِيَّةِ) الزَّاعِمِينَ أَنَّ الْعَبْدَ مُجْبُورٌ عَلَى

فِعْلِهِ، لَا إِرَادَةَ لَهُ وَلَا اخْتِيَارَ.

وِثَالِثُهَا: الْوَعِيدُ بِالْعَذَابِ وَالْعِقَابِ؛ فَهَمُ وَسَطٌ فِيهِ (بَيْنَ الْمُرْجئةِ) الزَّاعِمِينَ أَنَّ فَاعِلَ

الْكَبِيرَةِ لَا يَدْخُلُ النَّارَ وَلَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ، وَ(الْوَعِيدِيَّةِ) الَّذِينَ يُنْفِذُونَ الْوَعِيدَ؛ أَي:

يُمْضُونَهُ فَلَا يَتَخَلَّفُ بِحَالٍ، وَيَقُولُونَ: فَاعِلُ الْكَبِيرَةِ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ.

رابعها: أسماء الإيمان والدين؛ فهم وسط فيه (بَيْنَ الْحُرُورِيَّةِ) - وهم الخوارج - (وَالْمُعْتَزَلَةِ) الذين يُخرجون صاحب الكبيرة من الإيمان بالكليَّة، ثمَّ يختلفون في كيفية إخراجها، فتجعله الخوارج كافرًا، وتجعله المعتزلة في منزلة بين الإيمان والكُفر، وتجتمع الطائفتان في أنَّه في الآخرة كافرٌ مُحَلَّدٌ في النَّارِ.

(وَبَيْنَ الْمُرْجئةِ وَالْجَهْمِيَّةِ) الذين يجعلون فاعل الكبيرة مؤمنًا كامل الإيمان. وخامسها: (أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ فهم وسط فيه (بَيْنَ الرَّوَافِضِ) الذين بالغوا في حُبِّ بعض أصحابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من آله وغَلَوْا فيهم، (وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ) النَّاصِبِيَّةِ الذين بالغوا في بُغْضِ بعض الصَّحابة وسبهم؛ بل كفَّروا كثيرًا منهم. والمراد بالوسطية المقررة في هذه الأصول الخمسة أنَّ أهل السُّنَّة فيها عدولٌ خيارٌ، مستقيمين على الصُّراط المستقيم بلا إفراطٍ ولا تفريطٍ، فالوسطية تجمع أمرين:

أحدهما: الاستقامة على الصُّراط المستقيم، وهو الإسلام. والآخر: مُجانبة الإفراط والتفريط والبراءة منهما؛ فلا غُلُو ولا جفاء. هذه هي وسطية الواسطية المشيَّدة بالأدلة الشرعية، وليست الوسطية إماتة الدين والتَّهوين في شرائعه بمحابة أهل الكفر والبدعة والفسوق، وهي التي يرفعها أقوام اليوم شعارًا، فالوسطية عندهم ملاينة الخلق فيما يترك من الحقِّ، وهذا باطلٌ.

فصار للوسطية معنيان:

أحدهما: الاستقامة على الصُّراط المستقيم بلا إفراطٍ ولا تفريطٍ، وهذا معنى حقٌّ. والآخر: ملاينة الخلق في ترك الحقِّ؛ وهذا معنى باطلٌ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ: الْإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٤] ﴿[الحديد]﴾.

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ، وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ؛ بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ أَصْغَرِ خُلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيِّمٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رَبُّوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ - مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا - حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ.

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ».

وَمَا ذَكَرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يُنَافِي مَا ذَكَرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

قال الشَّارِحُ وفقه الله :

(مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ): الإيمان بعلوّه ومعِيّته؛ فهو سبحانه فوق عرشه، وهو مع خلقه أينما كانوا، وهما من جملة الصّفات الإلهيّة، لكنّ المصنّف أفردهما عن نظائرها لما احتفّ بهما من معارضات الابتداع العاطلة، ومناقضات الأهواء الباطلة، من الجهميّة ومن تبعهم من نفاة العلوّ، ومن أهل الحلول والاتّحاد الزاعمين أنّ الله ممتزجٌ بخلقه غيرُ بائنٍ منهم - تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً.

ولا يُراد بالمعيّة أنّ الله عزّوجلّ (مُتَخَلِّطٌ بِالْخَلْقِ)؛ ف(هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللَّغَةُ) التي حُوطبنا بها في القرآن والسُّنّة، كما أنّه (خِلَافٌ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ)، و(فَطَرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ الْخَلْقَ) كافّةً.

وكونُ الله (فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ) كما ذكر المصنّف.

ووقع تبين شيءٍ من تلك الظُّنون الكاذبة في بعض نُسخ الكتاب المتأخّرة؛ مثل أن يُظنَّ أنّ ظاهر قوله: (في السَّماء) أنّ السَّماء تُقْلَهُ أو تُظَلُّهُ؛ وهذا باطلٌ بإجماع أهل العلم والإيمان.

وهذه الزيادة المفسّرة للظُّنون الكاذبة ليست في النُّسخ العتيقة لـ«العقيدة الواسطيّة»، ومنها نسخةٌ مقروءةٌ على المصنّف، وهي تُشبه كلامه، وكأنَّ أحدًا نقلها من كتابٍ له إلى هذا المحلِّ فشهرت في بعض النُّسخ المتأخّرة، وتلك الجملة لا توجد في كتبه التي طبعت حتّى الآن.

(وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ) - كما قال المصنّف - إثبات أنّه سبحانه (قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ)، و(قُرْبُهُ وَمَعِيَّتُهُ) لا ينافي (عُلُوّه وَفَوْقِيَّتُهُ)؛ بل الأمر كما قال المصنّف: (عَلِيٌّ فِي دُنُوّه، قَرِيبٌ فِي عُلُوّه).

والقرب المذكور في باب الصفات مختص بالمؤمنين في أصح قولي أهل العلم.

فلا يقال حينئذ: إنَّ القُربَ نوعان:

أحدهما: قُربٌ عامٌّ من الخلقِ كلِّهم بالعلم.

والآخر: قُربٌ خاصٌّ من المؤمنين بالنَّصرِ والتَّأييد.

بل القرب للمؤمنين فقط؛ وهذا هو مقتضى استخلاصهم وأصطفائهم دون الخلق،

فيكون لهم حظٌّ من ربِّهم ليس لغيرهم.



قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتِبِهِ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مُنْزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأٌ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامَ غَيْرِهِ.

وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ، أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ؛ بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ (مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتِبِهِ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مُنْزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأٌ)؛ أَي: تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، (وَإِلَيْهِ يَعُودُ) أَي: يُرْفَعُ مِنَ الصُّدُورِ وَالسُّطُورِ، فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنْهُ فِي صَدُورِ الرِّجَالِ وَلَا فِي الْمَصَاحِفِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، ثَبَتَ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ وَأَنْعَقَدَ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ.

و(هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامُ غَيْرِهِ)، وَلَا يُقَالُ (أَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ)، وَلَا (عِبَارَةٌ عَنْهُ)؛ بَلْ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ؛ حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ.

و(الحكاية) و(العبارة) مذهبان رديئان للكَلَابِيَّةِ وَالْأَشَاعِرَةِ؛ فَإِنَّ الطَّائِفَتَيْنِ اتَّفَقَتَا عَلَى أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَعْنَى قَائِمٌ بِذَاتِهِ، ثُمَّ أَفْتَرَقَتَا؛ فَزَعَمَتِ الْكَلَابِيَّةُ: أَنَّ الْقُرْآنَ وَغَيْرَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ، وَأَمْتَنَعَتِ الْأَشَاعِرَةُ عَنِ الْحِكَايَةِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْمِمَازِلَةِ، وَأَخْتَارُوا الْقَوْلَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ وَغَيْرَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ، وَالْمُعَبَّرُ عَنْهُ

هو جبريلُ أو محمدٌ صلوات الله وسلامه عليه.

وعلى المذهبيين؛ فالكتب المنزلة - ومنها القرآن - معناها من الله دون الحروف، وهذا

خلاف دلائل الوحيين؛ فالقرآن كله حروفه ومعانيه من الله.



قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ؛ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ.
يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ (مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ) يَرَوْنَ رَبَّهُمْ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ) بلا خفاء، وقد ثبت هَذَا اللَّفْظُ (عِيَانًا) مرفوعًا في «صحيح البخاري».
(يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ)؛ أي: مُتَّسِعَاتِهَا، (ثُمَّ يَرَوْنَهُ) سُبْحَانَهُ فِي (الْجَنَّةِ).

والفرق بين الرؤيتين من وجهين:

أحدهما: أَنَّ الرُّؤْيَا الَّتِي تَكُونُ فِي عَرَصَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ هِيَ رُؤْيَا أَمْتَحَانٍ وَتَعْرِيفٍ، وَالرُّؤْيَا الَّتِي تَكُونُ فِي الْجَنَّةِ هِيَ رُؤْيَا إِنْعَامٍ وَتَشْرِيفٍ.
والآخر: أَنَّ الرُّؤْيَا الْأُولَى مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِمْ عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ لِأَنَّهَا لِلْأَمْتَحَانِ وَالتَّعْرِيفِ.

وتختصُّ الثَّانِيَةُ بِالْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنفِرَادِهِمْ فِي الْآخِرَةِ بِاسْتِحْقَاقِ الْإِنْعَامِ وَالتَّشْرِيفِ، سَائِلِينَ

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُنْعِمَ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ بِرُؤْيَيْهِ فِي الْجَنَّةِ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ.
فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّكَ؟، وَمَا دِينُكَ؟، وَمَنْ نَبِيُّكَ؟، فَيُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: اللَّهُ رَبِّي، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي.

وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: «أَهْ أَهْ لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُه»، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى، فَتَعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَادِ.

وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ؛ فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، حُفَاةً عُرَاءَةً غُرْلًا، وَتَدْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ.

وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ [المؤمنون].

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ، فَأَخِذْ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَأَخِذْ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (١٣) أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿[الإسراء].

وَيُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنَ، فَيَقَرُّهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ فَلَا يُحَاسِبُونَ مُحَاسِبَةً مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتٍ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدَّدُ أَعْمَالُهُمْ وَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وَيَقَرَّرُونَ بِهَا، وَيُجْزَوْنَ بِهَا. وَفِي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ الْحَوْضُ الْمُرْوُودُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، آيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَلَمَحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الْإِبِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِيْبُ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ، وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.

وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتَحُ بَابَ الْجَنَّةِ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأُمَمِ: أُمَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَهُ فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الْأُولَى: فَيَشْفَعُ لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَجَعَ الْأَنْبِيَاءُ: آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِمُ مِنَ اللَّهِ السَّلَامُ = الشَّفَاعَةُ حَتَّى

تَنْتَهِي إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيُشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ.

وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيُشْفَعُ فِيْمَنْ أَسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيُشْفَعُ فِيْمَنْ أَسْتَحَقَّ النَّارَ أَلَّا يَدْخُلَهَا، وَيُشْفَعُ فِيْمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يُخْرَجَ مِنْهَا.

وَيُخْرِجُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلُ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللَّهُ لَهَا أَقْوَامًا، فَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ.

وَأَصْنَافُ مَا تَتَّصِمُهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ، وَالثَّوَابِ، وَالْعِقَابِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ = مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالْأَثَارَةِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنْ أَبْتَغَاهُ وَجَدَهُ.



قال الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

شرع المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ يُبَيِّنُ الرُّكْنَ الْخَامِسَ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَهُوَ: (الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ).

واليوم الآخر على ما ذكره هو: (كُلُّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ)، فهو أَسْمٌ لما يكون بعد الموت، وهذا من أحسن ما قيل في حَدِّهِ، ووصفه أبْنُ سَعْدِيٍّ فِي «التَّنْبِيهَاتِ اللَّطِيفَةِ» بِأَنَّهُ ضَابِطٌ جَامِعٌ.

وخبرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المذكور في كلام المصنّف يندرج فيه القرآن؛ لأنَّ مُخْبِرَنَا به هو مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيؤمن أهلُ السُّنَّةِ والجماعة بفتنة القبر، وهي سؤال الملكين العبدَ عن ربِّه ودينه ونيبِه، **(فَيُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ)**.

(وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: «آه آه لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ»)، والمشهور في لفظ الحديث: «هاه، هاه»، ووقع في بعض رواياته: «آه آه» بدون هاء في أوله، وهو المثبت في النُّسخة المقرَّوة من «الواسطيَّة» على المصنّف.

ويؤمنون بنعيم القبر وعذابه؛ وهو ما يجري على العبد من نعيمٍ أو عذابٍ في قبره. ويؤمنون بيوم القيامة إذا أُعيدت **(الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَادِ)**، وقام النَّاسُ **(لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، حُفَاةً عُرَاءَ غُرُلًا)**؛ أي: غير مختونين، وحينئذٍ يُنصب الميزان، وهو واحدٌ في أصحِّ الأقوال، ولكنّه جُمع باعتبار ما يوزن فيه، فلما تعدَّد الموزون جُمع الميزان تعظيماً له فقليل: **(الْمَوَازِينُ)**، فتوزن الأعمال وصحائفها وعُمَّالها، فالوزن في أصحِّ أقوال أهل العلم واقعٌ على ثلاثة: العبد العامل، وعمله، وصحيفة عمله.

وإلى ذَٰلِكَ أَشَرْتُ بقولي:

الوزنُ في أصحِّ قولٍ للعملِ وعاملٍ معْ صُحْفِهِ نِلَتْ الأملُ
(وَتُنَشَّرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ)، فيأخذ المؤمن **(كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ)**، ويأخذ الكافر كتابه **(بِشِمَالِهِ)** **(وَرَاءَ ظَهْرِهِ)**.

(وَيُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ)، والحساب في الشَّرْع: عدُّ أعمال العبد يوم القيامة، وله

درجتان:

إحداهما: الحساب اليسير؛ وفيه تُعرض أعمال العبد عليه ويُقرَّر بها.

والأخرى: الحساب العسير؛ وفيه يُناقش العبد وتُستقصى عليه أعماله.

و(الْكُفَّارُ لَا يُحَاسِبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ)؛ إذ لا حسنة لهم؛ فقد جُوزوا بحسناتهم في الدنيا، فيقدّمون الآخرة ولا حسنة لهم، ولكنهم يُحاسبون بالتقرير على أعمالهم، والتقرير والتبكيك عليها، والمجازاة بها.

(وَفِي) عَرَصَاتِ (الْقِيَامَةِ) - وهي مُتَسَعَاتُهَا - (الْحَوْضُ الْمَوْزُودُ) لرسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكل نبيٍّ حوض، وَلَكِنَّ حَوْضَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أعظمها وُضْفاً، وأكملها حالاً.

ويؤمن أهل السُّنَّةِ بـ(الصُّرَاطِ)، وهو جسرٌ (مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنٍ جَهَنَّمَ)؛ أي: ظهرها، يوصل إلى الجنة، وهذا معنى قول المصنّف: (وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ)؛ أي: بينهما في الإيصال، وليس في الاتّصال، فليست صورته أن يكون ممدوداً والنار هاهنا والجنة هاهنا؛ بل صورته أنه يكون منصوباً فوق نار جهنّم، فالنار تحته، ويمرُّ عليه مَنْ يَمُرُّ عليه فوقه، فيدفع به إذا أفاض منه إلى الجنة - جعلنا الله وإياكم من أهلها -، يمرُّ عليه المؤمنون فقط على الصَّحيح من أقوال أهل السُّنَّةِ، فالأحاديث ظاهرةٌ في أن المرور على الصُّرَاطِ مختصٌّ بالمؤمنين، وأصرَّحها: حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً لما ذكر الصُّرَاطِ قال: «يَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ». متفقٌ عليه واللفظ لمسلم؛ فلا يمرُّ على الصُّرَاطِ إلَّا أهل الإيمان.

والَّذِينَ تَخْطِفُهُمْ كَلَالِبُ جَهَنَّمَ هم من عُصاة المؤمنين الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ دُخُولَ النَّارِ، فيدخلونها ثُمَّ يُخْرِجُونَ مِنْهَا، يمرُّ عليه المؤمنون (عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَلَمَحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرَكَابِ الْإِبِلِ)؛ أي الإبلِ الرّواحل التي تُتخذ للركوب.

فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصُّرَاطِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ولم يسبق دخوله عذابٌ في النار؛ بخلاف مَنْ أَخَذَتْهُ

الكلايب من عصاة المؤمنين، فإنه يدخل النار ثم يخرج منها.

والكلايب: جمع كلاب وكلوب؛ وهو: حديدة مُعَوَّجَة الرأس ذات شُعَبٍ؛ أي: حديدة يكون رأسها منقسمًا إلى شعبتين أو ثلاث، وهو الذي يُسمَّى في لغة العامة بالمِعلق أو بالشَّنكار.

ثم يُوقَف الَّذِينَ عَبَرُوا الصِّرَاطَ (عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِبُوا وَنُقُوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ) ^(١).

(وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ) هو (مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وهو أوَّلُ شَافِعٍ، وأوَّلُ مُشَفِّعٍ.

والشَّفاعة التي يذكرها المتكلمون في أبواب الاعتقاد يريدون بها الشَّفاعة عند الله، وتعريفها شرعًا: سؤال الشَّافِعِ الله حصول نفعٍ للمشفوع له، والنفع يتضمَّن جلب خيرٍ له، أو دفع ضررٍ عنه.

وللنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ):

(الشَّفَاعَةُ الْأُولَى): شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي (أَهْلِ الْمَوْقِفِ) أَنْ (يُقْضَى بَيْنَهُمْ)،

وهي الشَّفاعة العظمى.

و(الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ): شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوهَا.

(وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ) به.

و(الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ): شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فِيمَنْ أَسْتَحَقَّ النَّارَ)؛ وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَا

تُخْتَصُّ بِهِ؛ بَلْ هِيَ (لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ) وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ (وَعَيْرِهِمْ) مِنْ

الشُّفَعَاءِ، وَهِيَ تَتَنَاوَلُ - كَمَا ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ - (مَنْ أَسْتَحَقَّ النَّارَ إِلَّا يَدْخُلُهَا)،

(١) هنا تمام المجلس الثاني.

و(مَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا)، فيندرج فيها طائفتان:

الأولى: المستحقون دخول النار ألا يدخلوها.

والثانية: الدّاخلون في النار أن يخرجوا منها.

والصحيح: أَنَّ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ تَخْتَصُّ بِمَنْ دَخَلَ النَّارَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا، وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ فِيمَنْ أَسْتَحَقَّ النَّارَ أَلَّا يَدْخُلَهَا؛ فَالتَّحْقِيقُ: عَدَمُ ثبُوتِهَا؛ لَخُلُوءِ الْقَوْلِ بِهَا عَنْ دَلِيلٍ صَحِيحٍ صَرِيحٍ، اخْتَارَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «حَاشِيَتِهِ عَلَى تَهْذِيبِ السُّنَنِ» خِلَافًا لِشَيْخِهِ، وَالْأَشْبَهُ أَنْ قَوْلَهُ أَقْوَى.

فتصير الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: شَفَاعَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَنْ دَخَلَ النَّارَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا، وَاللَّهُ

أَعْلَمُ.

(وَيُخْرِجُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ) أَحَدٌ؛ (بَلْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ

فَضْلٌ) - أي: زيادةً - (عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللَّهُ) لِلْجَنَّةِ (أَقْوَامًا، فَيَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ).

وأحوال الدّار الآخرة متعدّدة متنوّعة، والمذكور في كلام المصنّف مهمّاتها، وتفصيلها

موجودة في الكتاب والسُّنَّة فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَحَقَّقَ أَحْوَالُ الدَّارِ الْآخِرَةِ فَلْيَقْبَلْ عَلَى الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَا.



قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ:

فَالدَّرَجَةُ الْأُولَى: الْإِيمَانُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ، الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْأَرْزَاقِ وَالْآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ.

فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ؛ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟، قَالَ: أَكْتُبُ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ، جَفَّتِ الْأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وَقَالَ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ.

فَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًَا، فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتُبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

فَهَذَا الْقَدَرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ الْإِيمَانُ أَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ؛ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الْفَسَادَ. وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللَّهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ.

وَالْعَبْدُ هُوَ الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ. وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللَّهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ:

﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۖ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۖ (٢٩)﴾ [التكوير].

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ السَّلَفُ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ، حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَأَخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ حِكْمَهَا وَمَصَالِحَهَا.



قال الشَّارِحُ وفقه الله :

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ الرُّكْنَ السَّادِسَ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ؛ وَهُوَ الْإِيمَانُ **(بِالْقَدَرِ)**، فَبَيَّنَ أَنَّهُ يَأْتِي **(عَلَى دَرَجَتَيْنِ)**:

الأولى: الدَّرَجَةُ السَّابِقَةُ وَقَوَعُ الْمُقَدَّرِ؛ وَتَتَضَمَّنُ عِلْمَ اللَّهِ بِالْمَقَادِيرِ، وَكِتَابَتَهُ لَهَا.

والثانية: الدَّرَجَةُ الْمَصَاحِبَةُ وَقَوَعُ الْمُقَدَّرِ؛ وَتَتَضَمَّنُ مَشِيئَةَ اللَّهِ لِلْمَقَادِيرِ، وَخَلْقَهُ لَهَا.

ومراتب القدر أربع؛ هي: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، وهي منتظمة في تلك الدَّرجتين اللَّتين ذُكرتا.

وحقيقة القدر شرعاً: عِلْمُ الله بالوقائع وكتابتُها، ومشِيئَتُهُ وخالُقُه لها، وهذا الحدُّ جامعٌ لمراتب القدر الأربع بدرجتيه السَّابقتين.

ومَّا يندرج في هذا الباب: الإيمان بأنَّ الله جعل للعبد مشيئةً وقُدرةً، لكنَّها تابعةٌ لمشيئة الله وقُدْرته، غير مستقلةٍ عنها.

والدَّرَجَةُ الأولى من درجتي القدر (قَدْ كَانَ) يُنْكِرُهَا (غُلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا)، وَمُنْكِرُهَا (الْيَوْمَ قَلِيلٌ).

أَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ فينكرها (عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ) الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ فِعْلَهُ، فيقدِّرُه ويشاؤُه ولا يعلمُه الله إِلَّا بعد وقوعه!، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

(وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِّنَ) الْمُشَبِّهَةِ لِلْقَدْرِ، وَهُمْ الْجَبَرِيَّةُ؛ (حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ) وَمَشِيئَتَهُ، وجعلوه مجبوراً على أفعاله، لا اختيار له ولا إرادة فيها، وعطلوا (أَفْعَالَ اللَّهِ وَأَحْكَامَهُ) عَنْ (حِكْمِهَا وَمَصَالِحِهَا)؛ إذ يصير ما خوطب به العبد لا حكمة فيه ولا مصلحة؛ لأنَّ العبد غير مُخْتَارٍ فيما يفعل من الأمر والنهي.



قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمِنْ أَصُولِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ. وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكْفَرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الْحَوَارِجُ؛ بَلِ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي آيَةِ الْقِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وَقَالَ: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ① إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴿[الحجرات: ٩-١٠]. وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا يُخْلَدُونَهُ فِي النَّارِ؛ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَرِلَةُ؛ بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ؛ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، وَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْحَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَتْتَهَبُ مُهَبَّةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَتْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكِبِيرَتِهِ، فَلَا يُعْطَى الْاسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلَا يُسَلَبُ مُطْلَقَ الْاسْمِ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

لَمَّا فَرَّغَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ بَيَانِ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ؛ شَرَعَ يَبِينُ حَقِيقَتَهُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ.

والإيمان له في الشرع معنيان:

أحدهما: عامٌّ؛ وهو: الدين الذي بعث الله به محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وحقيقته شرعًا: التصديق الجازم بالله باطنًا وظاهرًا، تعبدًا له بالشرع المنزَّل على محمدٍ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مقام المشاهدة أو المراقبة.

ويتنظم في هذه الحقيقة قول السلف: (الإيمان قولٌ وعملٌ).

والآخر: خاصٌّ؛ وهو: الاعتقادات الباطنة، وهذا المعنى هو المراد إذا قُرِنَ الإيمان

بالإسلام والإحسان.

والإيمان بمعناه العام منقسمٌ على القلب واللسان والجوارح؛ وإلى ذلك يشير أهل

السنة بقولهم: (الإيمان قولٌ وعملٌ)؛ فالقول: (قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ)، والعمل: (عَمَلُ

الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ).

فموارد الإيمان باعتبار محله خمسة:

أولها: قول القلب؛ وهو اعتقاده بالإقرار والتصديق والمعرفة.

وثانيها: عمل القلب؛ وهو حركاته فيما يريد الله من محبوباته ومراضيه؛ كالخوف،

والتوكل.

وثالثها: قول اللسان؛ وهو نطقه بالشهادتين.

ورابعها: عمل اللسان؛ وهو ما لا يؤدّي من العمل إلّا به؛ كقراءة القرآن وسائر

الأذكار.

وخامسها: عمل الجوارح؛ وهو الفعل والتّرك الواقع بها.

والإيمان يزيد وينقص؛ وزيادته تكون (بِالطَّاعَةِ)، ونقصانه يكون (بِالْمَعْصِيَةِ).

وَمَنْ فَعَلَ كَبِيرَةً فَهُوَ فَاسِقٌ، ليس بمؤمنٍ كامل الإيمان ولا بكافرٍ؛ بل هو (مُؤْمِنٌ نَاقِصٌ

الإيمان، أو مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته)، (فَلَا يُعْطَى الْأَسْمَ الْمُطْلَقَ) فيقال: مؤمنٌ، (وَلَا يُسَلَّبُ مُطْلَقَ الْأَسْمِ) فيقال: كافرٌ؛ بل يكون مؤمنًا بما عنده من الإيمان، فاسقًا بما أصاب من كبيرة.

و(الأُخُوَّةُ الإِيْمَانِيَّةُ) معه ثابتة، لا تزول (مَعَ الْمَعَاصِي) ولا تنتفي، لا (كَمَا) تزعمه (الْحَوَارِجُ) الَّذِينَ يُكْفَرُونَ بفعل الكبيرة، ويحكمون على صاحبها بالخلود في النار، ولا (كَمَا) تزعمه (الْمُعْتَزِلَةُ) الَّذِينَ يَخْرُجُونَ فاعل الكبيرة من الإيمان، لَكِنَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَهُ الْكُفْرَ، فيجعلونه في الدُّنْيَا في مقامٍ اخترعوه، سَمَّوْهُ: الْمَنْزِلَةَ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، ويجعلونه في الآخرة كافرًا مُخَلَّدًا فِي النَّارِ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَالسِّتَّةُ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر]، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ». وَيَقْبُلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ. فَيَفْضِلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صَلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ - وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ.

وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلَاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةِ عَشَرَ -: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَالْعَشْرَةِ، وَكَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَيَقْرُونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ؛ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ.

وَيُثَلِّثُونَ بَعْثَمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بَعْلِيًّا؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ.

مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟

فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَنُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا؛ لَكِنْ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ.

وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ -؛ لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

لَكِنْ الْمَسْأَلَةُ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ.

وَكَذَلِكَ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَيْمَةِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ (غَدِيرِ خُمٍّ): «أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي».

وَقَدْ قَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمَّهُ - وَقَدْ شَكَا إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ - فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي».

وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى إِسْمَاعِيلَ، وَأَصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَأَصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَأَصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَأَصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ أَزْوَاجَهُ فِي الْآخِرَةِ؛ خُصُوصًا خَدِيجَةَ أُمُّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ.

وَالصَّديقَةُ بِنْتُ الصَّديقِ الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».

وَيَتَبَرَّرُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيُسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغَيْرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَعَامَّةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْدُورُونَ؛ إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُحْطِئُونَ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ، وَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا صَدَرَ مِنْهُمْ - إِنْ صَدَرَ -، حَتَّى إِتَّهَمُوا يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمَدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلٍ أُحْدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ.

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ أَبْتَلَى بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الْأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ؛ إِنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَأُوا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ؟!

ثُمَّ الْقَدَرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلٍ بَعْضِهِمْ: قَلِيلٌ نَزَرَ، مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهَجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ

النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بَعْلِمٍ وَعَدْلٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ؛ لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَتَتْهُمْ هُمْ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ، وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.



قال الشَّارِحُ وفقه الله :

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (مِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةً قُلُوبِهِمْ وَالسَّيِّئَاتِ لِمَنْ لَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ممثلين ما أمرهم الله به، فيقبلون ما في الكتاب والسُّنَّةِ (مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ).
و(يُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صَلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ - وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ).

(وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ).

(وَيُؤْمِنُونَ) بفضيلة (أَهْلِ بَدْرٍ)، وأنَّ الله قال لهم: «أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ». متَّفَقٌ عليه من حديث عليٍّ.

و(أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)، وهم أهل بيعة الرضوان عام الحديبية.
(وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَالْعَشْرَةِ) المبشرين بها، وهم: الخلفاء الأربعة، وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ، والزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وعبد الرَّحْمَنِ بن عوفٍ، وسعيد بن زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.
وُخِصَّ هَؤُلَاءِ بِاسْمِ الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ بُشِّرَ بِهَا

أيضاً؛ لأنَّهم جُمِعوا في حديثٍ واحدٍ في البشارة بالجنة، فسُمُّوا العشرة المُبشِّرين بالجنة. ويعتقد أهل السُّنَّة أنَّ ترتيب الخلفاء الأربعة في الفضل؛ كترتيبهم في الخلافة؛ فأفضلهم: أبو بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ. وفي المفاضلة بين عثمان وعليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا خلافٌ قديمٌ، ثمَّ (أُسْتُقِرَّ) الأمرُ عندَ (أهلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُمَانَ) على (عَلِيٍّ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في الفضل. (وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ) - وهي مسألة المفاضلة بين عثمان وعليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - (لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا الْمُخَالَفُ)، وَلَكِنْ الَّذِي (يُضَلَّلُ) فيه المخالف هو ترتيبهم في (الْخِلَافَةِ).

والفرق بين المسألتين: أنعقاد إجماع الصحابة على ترتيب الخلافة، وأمَّا مسألة المفاضلة فبقيت فيهم وفي مَنْ بعدهم من التابعين، ثمَّ أُسْتُقِرَّ قول أهل السُّنَّةِ على تقديم عثمان على عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الفضل.

فيؤمنون بما يتعلق في الخلافة (أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ).

(وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ). (وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ)، وَأَهْلُ بَيْتِهِ - في أصحِّ الأقوال - هم: الَّذِينَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ، وهم بنو هاشمٍ وزوجاتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولأجل ما كان للأزواج من مقامٍ كريمٍ عند النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفردهم المصنِّف بالذكر فقال: (وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ...) إلى آخره.

(وَيَتَبَرَّؤْنَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ) و(النَّوَاصِبِ)، فَإِنَّ الرَّوَافِضَ (يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ

وَيَسُبُّونَهُمْ)، وَيُعَظِّمُونَ بَعْضَ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وطريقة النواصب أذية أهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما أنَّهم يسبون غيرهم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ بل يكفرون كثيراً منهم.

وما (شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ) من الاختلاف وما جرى في زمانهم من فتنة؛ فإنه يمسك عنه عند أهل السنة والجماعة، ولا يسعى في بثه وإشاعته، بل الساعي في ذلك القائم به ساعٍ في طريق ضلالة، وهو زائغٌ عند أهل السنة والجماعة.

(وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْأَثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي) مساوئ الصحابة ثلاثة أقسام:

القسم الأول: (مَا هُوَ كَذِبٌ) في نفسه؛ فلا يثبت البتة.

والقسم الثاني: (مَا زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ)، وغُيِّرَ عن وجهه.

وهذان النوعان هما أكثر المنقول في كتب التاريخ والأخبار، فإنَّ الغالب فيها ذكر الكذب أو المحوّل عن وجهه، فانحطّت رتبته في نقل الوقائع، ومنها خلافُ الصحابة وما شجر بينهم عن رتبة كتب السنن والآثار.

فالمعوّل عليه في نقل ما وقع بينهم إن احتيج إليه هو كتب السنن والآثار، لا كُتُب التواريخ والأخبار.

والقسم الثالث: صحيح عنهم، وأكثره يروى في كتب السنن والآثار، لا التواريخ والأخبار، و(هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ؛ إِمَّا جُتِّهْدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا جُتِّهْدُونَ مَخْطُئُونَ)، فهم بين الأجرين والأجر.

ولا يعتقد أهل السنة والجماعة أبداً أن أحداً (مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ) من الذنوب، (بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمْ) الوقوع فيها، وتوجد الذنوب منهم، لكن لهم من موجبات المغفرة ما ليس لغيرهم.

وإذا (صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ) ماحية، (أَوْ غُفِرَ لَهُ)؛ بِمَا لَهُ مِنْ (فَضْلِ سَابِقَتِهِ) فِي الْإِسْلَامِ، (أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ أُبْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ).
وَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ (المَجْزُومِ صُدُورُهَا عَنْهُمْ؛ فَكَيْفَ الْأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ).

(ثُمَّ الْقَدَرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلٍ بَعْضِهِمْ) هُوَ (قَلِيلٌ نَزَرٌ، مَغْمُورٌ فِي) جَانِبِ فُضَائِلِهِمْ (وَمَحَاسِنِهِمْ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(وَمَنْ نَظَرَ فِي) أَخْبَارِ الصَّحَابَةِ وَسِيرِهِمْ (عَلِمَ أَنَّهُمْ خَيْرُ) النَّاسِ (بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ)، وَأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ أَحَدٌ أَفْضَلُ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصَدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ، فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأَثِيرَاتِ؛ كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الْأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

(مِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ) والجماعة: (التَّصَدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ).

والكرامات: جمع كرامة؛ وهي: آيةٌ عظيمةٌ تدلُّ على صلاح العبد، ولا تقترن بدعوى النبوة.

والأولياء: جمع وليٍّ؛ وهو شرعاً: كلُّ مؤمنٍ تقيٍّ.

أَمَّا الْوَلِيُّ فِي أَصْطِلَاحِ عُلَمَاءِ الْعَقِيدَةِ فَهُوَ: كلُّ مؤمنٍ تقيٍّ غَيْرِ نَبِيٍّ.

فاسم (الوليِّ) في خطاب الشَّرْعِ يندرج فيه الأنبياء، وأما في الاصطلاح فلا يندرجون فيه.

وَأَحْتِيجُ إِلَى هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْإِصْطِلَاحِيَّةِ لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَ دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ وَكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ.

وكرامات الأولياء نوعان - أشار إليهما المصنّف:

أحدهما: كرامةٌ تتعلّق بـ (أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ).

والآخر: كرامةٌ تتعلّق بـ (أَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأَثِيرَاتِ).

وأهل السُّنَّةِ يثبتون للأولياء الكرامات، ويُنزّهونهم عمّا يُدَّعى زوراً من الخرافات.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

ثُمَّ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: اتَّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتَّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَاتَّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي؛ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ: كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ: هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَيُؤَثِّرُونَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ.

وَلِهَذَا سُمُّوا (أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).

وَسُمُّوا (أَهْلَ الْجَمَاعَةِ)؛ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الْاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ

الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ.

وَالْإِجْمَاعُ هُوَ الْأَصْلُ الثَّلَاثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ.

وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ؛ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ

ظَاهِرَةٍ؛ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.

وَالْإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الْاِخْتِلَافُ،

وَأَنْتَشَرَتِ الْأُمَّةُ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ طَرِيقَ أَهْلِ السُّنَّةِ الْكَلْبِيِّ فِي اخْتِزَانِ دِينِهِمْ، وَأَنَّ مِنْ

طريقتهم: (اتَّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، (وَاتَّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ) (مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ)، والْتِمَسُكَ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، ومجانبةُ محدثات الأمور؛ لأنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

وَأَنَّهُمْ (يَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ: كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ: هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ولأجل هَذَا آثَرُوا (كَلَامَ اللَّهِ عَلَى) كَلَامِ غَيْرِهِ، وَقَدَّمُوا (هَدْيَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَدْيِ) غَيْرِهِ، فَسُمُّوا (أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)؛ لِأَخْذِهِمْ بِهِذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ، (وَسُمُّوا (أَهْلَ الْجَمَاعَةِ)؛ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الْاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ).

(وَالْإِجْمَاعُ هُوَ الْأَصْلُ الثَّلَاثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ)، وَحَقِيقَتُهُ شَرْعًا: اتِّفَاقُ مُجْتَهِدِي عَصْرٍِ مِنْ عَصُورِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاتِهِ عَلَى حُكْمٍ شَرْعِيٍّ.

(وَهُمْ يَزْنُونَ) بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ (جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ؛ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ)، فَلَا يَزْنُونَ الْخُلُقَ بِالصُّورِ وَالْأَمْوَالِ، وَإِنَّمَا يَزْنُونَ أَحْوَالَ الْخُلُقِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ. (وَالْإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الْاِخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَتِ الْأُمَّةُ)؛ وَالسَّلَفُ الصَّالِحُ الْمُرَادُونَ هُنَا هُمْ: الصَّحَابَةُ، وَالتَّابِعُونَ، وَاتَّبَاعُ التَّابِعِينَ.

وَلَيْسَ مُرَادُ الْمُصَنِّفِ إِذْ ذَكَرَ ذَلِكَ نَفْيَ إِمْكَانِ وَقُوعِ الْإِجْمَاعِ بَعْدَهُمْ، وَلَكِنَّ الْمَقْصُودَ تَعَذُّرَ الْعِلْمِ بِهِ وَمَشَقَّةَ ذَلِكَ غَالِبًا؛ لِأَنَّ الْقُلُوبَ فِي عَهْدِ السَّلَفِ كَانَتْ نَقِيَّةً، وَالْعُلُومَ فِي نَفُوسِهِمْ كَانَتْ قَوِيَّةً، فَكَانَ ذَلِكَ أَدْعَى لِلْوُقُوفِ عَلَى الْإِجْمَاعِ، ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الْأُمَّةُ بَعْدَهُمْ؛ فَصَارَ حَصُولُ الْإِجْمَاعِ عَسِيرًا، لَكِنَّهُ لَيْسَ مِمْتَنَعًا.



قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ عَلَى مَا تَوْجِبُهُ الشَّرِيعَةُ.

وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ، وَالْجَمْعِ وَالْأَعْيَادِ؛ مَعَ الْأَمْرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ.

وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ.

وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ؛ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ: إِذَا أَشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ».

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ.

وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا».

وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَغْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ.

وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ، وَالرَّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْحِيَلَاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالْاِسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ؛ بِحَقِّ أَوْ بَغَيْرِ حَقٍّ.

وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ سَفَسَافِهَا.

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا أَوْ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ،

وَطَرِيقَتِهِمْ هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ

الْجَمَاعَةُ، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»؛ صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالْإِسْلَامِ الْمُخْضِرِ الْخَالِصِ عَنِ الشُّوبِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. وَفِيهِمُ الصَّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ أَعْلَامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْتُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الْأَبْدَالُ، وَمِنْهُمْ الْأَيْمَّةُ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمْ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّتِي قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

فَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنا مِنْهُمْ، وَأَلَّا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَيَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً، إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



قال الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَأَخْلَاقِهِمُ: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ (عَلَى مَا تَوْجِبُهُ الشَّرِيعَةُ)؛ أَي: بِحَسَبِ الْأَمْرِ الدِّينِيِّ، لَا بِحَسَبِ الْهَوَى وَالرَّأْيِ.

وَأَنْتَهُمُ (يَرَوْنَ إِقَامَةَ) الشَّعَائِرِ الظَّاهِرَةِ كـ(الْحَجِّ وَالْجِهَادِ، وَالْجُمُعِ وَالْأَعْيَادِ؛ مَعَ) أَمْرَائِهِمُ الْأَبْرَارِ مِنْهُمْ وَالْفُجَّارِ، فَيُشَارِكُونَهُمْ فِي الْخَيْرِ، وَيُفَارِقُونَهُمْ فِي الشَّرِّ، وَيَحْفَظُونَ الْأَخُوَّةَ الْإِيمَانِيَّةَ، وَالْحَمِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ لِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا، (وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ) لَهُمْ.

(وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرِّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ).

(وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ)؛ كَصَلَةِ مَنْ قَطَعَكَ، وَإِعْطَاءِ
المحروم، والعفو عن الظالم.

(وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصَلَةِ الْأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى
وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ، وَالرَّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ)

(وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخِيَلَاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالْاِسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ؛ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ)،
وغيرها من أخلاق الظلم والبطش.

والاستطالة على الخلق: هي الترفع عليهم، وأحتقارهم والوقية فيهم؛ فإن كان
المستطيل أستاذ بالحق فقد افتخر، وإن كان أستاذ بالغير حق فقد بغى، وكلاهما خلق
مُحَرَّمٌ.

(وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ سَفَسَافِهَا)؛ أي: رديئها.
وأهل السُّنَّة والجماعة هم في أقوالهم وأفعالهم ممَّا ذكره المصنّف وما لم يذكره هم
(مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتِهِمْ هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

لكنّه أخبر صلوات الله وسلامه عليه (أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا
فِي النَّارِ؛ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ)، وهذه الجماعة هي المتمسكة (بِالْإِسْلَامِ الْمَحْضِ
الْحَالِصِ عَنِ الشُّوبِ) الذي جاء به النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي أهل السُّنَّة والجماعة بحمد الله: (الصُّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ
أَعْلَامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمْ
الْأَبْدَالُ)؛ وهم القائمون ببُصرة الدِّين، فيخلفُ بعضهم بعضًا فيه، فإذا مات أحدٌ منهم
أقام الله غيره، هَذَا هو المعنى المحقّق للأبدال دون غيره من المعاني المدّعاة.

(وَمِنْهُمْ الْأُئِمَّةُ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمْ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ
الَّتِي قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا
يُضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَهُمْ؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»). مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنَحْوِهِ، فِي أَهْلِ السُّنَّةِ بِحَمْدِ اللَّهِ كُلِّ فَضِيلَةٍ، وَهُمْ بَرَاءٌ مِنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ.
فَنَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعَلَا أَنْ يُحْيِيَنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ،
وَأَنْ يُمَيِّتَنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ.
وَهَذَا آخِرُ الْبَيَانِ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ بِمَا يَنَاسِبُ الْمَقَامَ.

تَمَّ الشَّرْحُ فِي ثَلَاثَةِ مَجَالِسَ
آخِرُهَا لَيْلَةُ الثَّلَاثَاءِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ
سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ وَالْأَلْفِ
فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ بِمَدِينَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

